والمبرورُ على وَزْنِ مفعول، أي المقبُولُ، مأخوذٌ من البِرِّ، وهو الطّاعَةُ، بأن لا يُخالطه إثْمٌ.

وقد سُئِلَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: «مَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ؟ فَقَالَ: أَنْ تَعُودَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الآخِرَةِ».

وقال ابنُ بطّالٍ شرح صحيح البخاري (435/4): «الحجُّ المبرورُ هو الذى لا رِيَاءَ فيه، ولا رَفَثَ، ولا فسوقَ، ويكون بمَالٍ حلَالٍ، واللهُ أَعْلَمُ».

وقال النّوويُّ شرح صحيح مسلم (118/9): «الأَصَحُّ الأشهَرُ أنّ المبرورَ هو الذي لا يخالطُهُ إثمٌ، مأخوذٌ من البِرِّ وهو الطّاعَةُ، وقيل: هو المقبولُ، ومن علامَةِ القَبُولِ أن يرجِعَ خيرًا ممّا كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رِيَاءَ فيه، وقيل: الذي لا يعقبُهُ معصيَةٌ، وهما داخلان فيما قبلهما».

ومهما قيل في تفسيرِ المبرورِ، فإنّ الأقوَالَ متّفقَةٌ على أنّ الحَجَّ المقبولَ عند اللهِ ما سَلِمَ من السُّمْعَةِ والرِّيَاءِ، وَصَفَا مِن حُبِّ المَحْمَدَةِ والثّنَاءِ، وخَلُصَ من الفسوقِ والعصيَانِ، وخَلَا من الحرصِ على متَاعِ الدّنيا الزّائِلِ والشُّغْلِ به، وأَنْهَضَ الحَاجَّ إلى التّقوى، وحثَّهُ على العبادَةِ والطّاعَةِ، فصار مستقيمًا على التّوبَةِ، عاملًا بما يُرضي ربَّهُ.

⑤ - روى الشيخان عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

قوله: «**فَلَمْ يَرْفُثْ**» من الرَّفَثِ، وهو الجِمَاعُ، ويُطْلَقُ

ويُرادُ به التَّعْرِيضُ بِالنِّكَاحِ، ويُطْلَقُ أيضًا على الْفُحْشِ في القولِ.

وقوله: «**وَلَمْ يَفْسُقْ**» أي لم يأت بمعصيةٍ، ولم يخرُجْ عن أَمْرِ اللهِ تعالى.

⑥ - روى النسائي وابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرَةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**وَفْدُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ، الْغَازِي، والْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ**».

وفي روايَةٍ لابنِ ماجه وغيرِهِ: «**الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ**».

قولُهُ: «**وَفْدُ اللَّهِ**» الوَفْدُ جَمْعُ وَافِدٍ، وهم القومُ يجتمعون ويَرِدُونَ البلَادَ، والقومُ الذين يقصدون الملوكَ والأمرَاءَ لزيارَةٍ أو تهنئَةٍ أو طلبِ أمرٍ.

وإضافَةُ الوفدِ إلى اللهِ تعالى للتّشريفِ والتّكريمِ، والمرادُ وَفْدُ حَرَمِهِ، أي أنّهم سائرون إلى بيتِهِ الحرامِ، قادمون عليه امتثالًا لأمرِهِ، ونازلون لديه، ومقرّبون إليه.

وقولُهُ: «**الْغَازِي**» أي المجاهِدُ لإعلاءِ كلمَةِ اللهِ.

وقولُهُ: «**وَالْعُمَّارُ**» جمعُ عَامِرٍ، بمعنى المُعْتَمِر.

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

www.prmoussaismail.com

فضائلُ الحجّ

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد؛ فقد وردت في فَضْلِ الحَجِّ نصوصٌ كثيرَةٌ، منها:

① - قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿27﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿28﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿29﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 27 ـ 30].

والخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ لإبراهيمَ الخليلِ عليه السّلامُ.

روى ابن أبي شيبة والحاكم عن ابنِ عبّاسٍ ﷺ قال: «لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قِيلَ لَهُ: أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ: رَبِّ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ، قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ يَجِيئُونَ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ يُلَبُّونَ؟».

وروى الطبري وابن حاتم في تفسيرهما عن ابنِ عبّاسٍ

ﷺ قال: «قَامَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ عَلَى الْحَجَرِ، فَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، فَأَسْمَعَ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَحُجَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ».

وقولُهُ تعالى: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، أي يأتون طائعين مختارين غير مكرهين، برًّا وبحرًا وجوًّا، ومن جميع القارّات.

وقولُهُ تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، عَامٌّ في كلِّ منافعِ الدّنيا والآخرَةِ.

قال الزّمخشريُّ في الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (153/3): «نكَّرَ المنافعَ لأنّه أراد منافعَ مختصَّة بهذه العبادَةِ، دينيّة ودنيويّة لا توجد في غيرِهَا من العبادَات، وعن أبي حنيفَةَ رحمه الله أنّه كان يفاضِلُ بين العبادَاتِ قبل أن يَحُجَّ، فلما حَجَّ فَضَّلَ الحَجَّ على العبادَاتِ كُلِّهَا، لِمَا شَاهَدَ من تلك الخصائِصِ».

وقال القاضي الماوَرْدِيُّ: «قولُهُ عزّ وجلّ: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ فيه ثلاثَةُ تأويلات:

أحدها: أنّه شُهُودُ المواقِفِ وقضاءُ المناسِكِ.

والثّاني: أنّها المغفرَةُ لذنوبِهِمْ، قالَهُ الضّحّاكُ.

والثّالث: أنّها التّجارَةُ في الدّنيا والأجْرُ في الآخرَةِ، وهذا قولُ مجاهِدٍ».

وقولُهُ تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾، الأيّامُ المعلومَاتُ هي يومُ التَّرْوِيَةِ، ويومُ عَرَفَةَ، ويومُ النَّحرِ، ويقال: أيّامُ العشرِ كلّها، وذكرُ اللهِ هو غايَةُ مقصدِ

الطّالبين، ونهاية رغبة الرّاغبين، وبذكرِهِ سبحانه تحيى النّفوسُ وتطمَئِنُّ القلوبُ، كما أخبر بذلك علّامُ الغيوبِ في كتابه بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿28﴾﴾ [الرعد: 28].

وقولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾، وحرماتُ اللهِ أمره ونهيه وما وجب القيام به، وحرماتُ اللهِ في الحجّ هي البيتُ الحرامُ والبلدُ الحرامُ والمسجدُ الحرامُ والشهرُ الحرامُ، وتظيمُهَا بحفظ حرمتها، والحرماتُ أيضًا هي ما يتعلَّقُ بالحَجِّ من التّكاليفِ كالإحرَامِ، والوقوفِ بعرفَةَ، والطّوَافِ، والسّعي بين الصّفا والمروَةِ، ورمي الجمارِ، وتعظيمُهَا بإقامتها وإتمامها.

وقولُهُ تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، أي خيرٌ له عند اللهِ في الآخرَةِ، وأعظَمُ لأجرِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الشورى: 36].

② - روى الشّيخان عن أبي هريرَةَ ﷺ قال: «**سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**».

③ - روى الشّيخان عن أبي هريرَةَ ﷺ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ**».

④ - روى البخاري عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ ﷺ: لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ**».